تنشئة الطفل المسلم

الدكتور

أبو اليسر رشيد كُهُوسْ

الطبعة الأولى

1434 هـ/ 2013 م

جمهورية مصر العربية – القاهرة
زهراء مدينة نصر – المرحلة الثانية
ص.ب: 10 – الرمز البريدي: 11528
تليفون: 24106748 – 01000135406
www.darelhekma.net
hassanelsherif@darelhekma.net

رقم الإيداع	؟؟/ ٢٠١٢
الترقيم الدولي	978-977-5077-؟؟-؟

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾

[الفرقان]

DHyʃgF

إلى الفطرة والبراءة..

إلى جيل المستقبل..

إلى غد الأمة..

إلى زهرة البيوت..

إلى الشجرة الطيبة..

إلى أطفال المسلمين في كل مكان وإلى آخر الزمان..

تقديم

الحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد السابق للخلق نوره، ورحمة للعالمين ظهوره، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء، وعلى آله الأطهار النجباء، وصحابته الكرماء، وزوجاته أمهات المؤمنين والأبناء.

وبعد؛

فتعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل عمر الإنسان؛ إذ تتشكل من خلالها شخصية الفرد، لذلك أولاها الإسلام اهتماما بالغا، وأحاطها بعناية كبيرة، وحض على حماية النشء في هذه المرحلة، وغرس قيم المحبة والفضيلة في نفسه، حتى ينشأ عليها.

ذلك أن الطفل بالنسبة لنسل الإنسان كالبذرة بالنسبة لنسل الشجرة، والأمم التي تهمل أطفالها محكوم عليها بالانقراض والاندثار.

وعلى كل أمة تريد ضمان مستقبلها واستمرار حياتها توجيه عنايتها إلى تنشئة أطفالها الذين سيكونون أعمدة بنائها ورجالها في المستقبل... فضياع الأطفال يعني ضياع مستقبل الأمة.

والأمة إذا تخلت عن أطفالها وتربية أجيالها حسب فلسفة الإسلام في التربية والتوجيه، محكوم عليها بالتحلل والذوبان بين فكّي الزمان الذي لا يرحم!

وكتبه أبو اليسر رشيد محمد كهوس بشرق المغرب يومه الاثنين لأربع خلون من شعبان ١٤٣٣ من هجرة الحبيب ﷺ وفق 25 يونيو (حزيران) 2012 من تاريخ النصارى.

الأمومة والأبوة

ما يرفع الرجل الزوج إلا أبوته، وما يرفَع المرأة الزوج إلا أمومتها، ألم تر أن حقهما يُذْكَر مباشرة بعد حق الله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء) وما من أمومة أو أبوة تستحق كل هذه المكانة إن أنجبت غُثاءً كغثاء السيل، أو أساءت تنشئة أطفالها، أو تركتهم هملا؛ لقمة سائغة لبيئة منحلة، أو إعلام مفسد، أو رفقة مضلة...

إن غاية ما يراد من الأبوين تحقيقه حفظ الفطرة التي ولد عليها الطفل من الضياع وتنشئته تنشئة سوية مستقيمة، فكيف يمكن لمجتمع أن يسير سويا على صراط مستقيم، إن كانت تنشئة أطفاله أعمدة المستقبل تنشئة فاسدة!!!

إن أفضل خدمة يقدمها الآباء والأمهات للأمة المسلمة وللرسالة المحمدية: تنشئة جيل من الرجال الأقوياء في دينهم وخلقهم ومعاملتهم.

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعِينُوا أَوْلادَكُمْ عَلَى الْبِرِّ، مَنْ شَاءَ اسْتَخْرَجَ الْعُقُوقَ لِوَلَدِهِ» (رواه الإمام الطبراني في المعجم الكبير).

والبر: الخير والإحسان والصدق والطاعة وحسن المعاملة...

---

(١) رواه الإمام الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : «حَافِظُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ فِي الصَّلَاةِ وَعَلِّمُوهُمُ الْخَيْرَ فَإِنَّمَا الْخَيْرُ عَادَةٌ» (رواه الإمام أبو بكر أحمد البيهقي فَي السنن الكبرى).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنهم قالوا: يا رسول الله، قد علمنا حق الوالد على الولد، فما حق الولد على الوالد؟ قال: «أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه»(رواه الإمام البيهقي في شعب الإيمان).

وعن عمر بن أَبِي سَلَمَةَ قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» . فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ[1].

هذا هو أسلوب النبي ﷺ في التربية، لم ينهره بل علمه بأدب وحكمة، حتى استقر ذلك الأدب في قلبه فصارت تلك طعمته.

ولابد من اتخاذ الأسباب لتنشئة أطفالنا ثم ندعو الله تعالى أن يصلحهم قبل ذلك وبعده: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴿٦٠﴾﴾ (الأنفال). وأكبر عدة نعدها هي تربية هذا النشء تربية إسلامية على منهاج صحيح، فما تغني العدة المادية (الخيل والسلاح...) إن تركنا أبناءنا هملا تتقاذفهم أمواج الانحلال والانحراف والتغريب من هنا وهناك...

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل.

حاجة الآباء والأمهات

إلى الحكمة التربوية في تنشئة الطفل

إن مَهَمة الآباء والأمهات مَهَمة شاقة؛ مهمة البناء وصناعة المستقبل وللأمهات القسط الأوفر في هذا البناء، لكونهن أكثر ملازمة لأطفالهن من الآباء، وأكثر حنوا عليهم، وأشد التصاقا به، أضف إليه ما جبلن عليه من الصبر والتحمل للسهر على الأطفال...لذلك قال هتلر عندما أمر بالاستعداد للحرب للنساء:"خير خدمة للبلاد قراركن في البيوت واجتهادكن في تنظيم الجيل الجديد"، وقال نابليون عندما سئل عن أهم حصن تحتمي به فرنسا ويرهب العدو قال:"هو الأم الصالحة التي تحسن القيام على أولادها، فتقدم للوطن رجالا، الواجب ديدنهم، والوطن هدفهم، ونصرة دينهم الذي يعتنقون".

فلابد إذن أن يكون البناء من الأساس وعلى أساس، لابد من تهييء الأرض الصالحة لتنشئة الطفل: إن أول محضن ينشأ فيه الطفل هو الأسرة فيها يتعلم ومن كبارها يقتدي؛ لذا يجب أن تسودها المحبة والمودة والرحمة والمعاشرة بالمعروف والبر والتعاون والخلق الكريم... حتى تتألف عناصر التربية المتكاملة.

إن الرياحين لا تزدهر في أرض كانت للأشواك موطنا، فالأرض الطيبة للبذور الطيبة، والأرض الفاسدة للأشواك والأحراش...

فمن البيت السعيد ينطلق التغيير، فواجب الأب والأم التربوي إزاء هذا الطفل أن يستنيرا بالوحي ويعملا عليه لتكون تنشئة هذه الزهرة على بينة وعلى صراط مستقيم، وإلا فالغزو الفكري انتشر في مجتمعاتنا انتشار النار في الهشيم، والدعوات المغرضة والصيحات التغريبية تملأ الدنيا صياحا.

وليبذل الآباء والأمهات جهودهم في حفظ النشء من نوافذ الإعلام المفسد المفتوحة أبوابه على مصراعيها، ومن المؤثرات الخارجية التي تُذْبِل زهرة الأخلاق، وتُعَوِّجُ عود الاستقامة، وتمتص رحيق الأغصان، وتسقي السموم، وتلقِّح بذور الشر، وتلقم سخافات تسخر من الدين، وتشبع النشء غازات سامة تنزع الأخلاق وتنازعها...

والله تبارك وتعالى أمرنا بإعداد القوة، وأكبر إعداد ما يغرسه الآباء والأمهات من بذور الحب والخير في قلوب أبنائهم، وما يتعهدونه من تنشئة صالحة لهم... فإذا نضجت الثمرة فأدْنَى حركةٍ تجعلها تَسَّاقَط عليهم رطَبا جنيّاً، فيأكلوا من بركاتها ويقروا عينا بصلاحها ونضجها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ؛ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

ما الأبوة والأمومة إنجاب جسوم فحسب، بل هي إصلاح العمل، وصيانة الفطرة والحفاظ على سلامتها.

أوصى نبي الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنيه، بصدق التوجه لله تعالى، والاستسلام له وتوحيده التوحيد الخالص:

قال الحق جل وعلا: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ ...﴿١٣٢﴾ ﴾ (البقرة).

وأوصى يعقوب النبي عليه السلام بنيه في حياته وعند وفاته أبناءه بعبادة الله تعالى، وتوحيده والاستسلام له والخضوع لأمره وجلاله، وسألهم واستشهدهم

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

على ذلك، قال الله تقدست كلماته: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (البقرة).

في الوصيتين السابقتين لنبيي الله تعالى إبراهيم الخليل ويعقوب عليهما الصلاة السلام، قرأنا الحكمة التربوية مجملة، ونقرأها مفصلة في وصية لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:

قال الله عز اسمه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان).

عشر وصايا وصى بها لقمان الحكيم عليه السلام ابنه:

١- توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به شيئا.

٢- بر الوالدين والإحسان إليهما.

٣- مراقبة الله تعالى.

٤- إقامة الصلاة بأدائها في وقتها والحفاظ عليها.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦-الصبر على الـمُصاب وفي الشدائد والمحن.

٧- التواضع للخلق.

٨- لا تمشي مرحا وبطرا ولا تتبختر في مشيك تكبرا.

٩- القَصد في المشْي، أي التوسط والاعتدال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ...﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان).

١٠- الغض من الصوت؛ وإذا رفعت صوتك افتخارا وتعصبا فإن أنكر الأصوات لَصَوْت الحمير.

تحمل كل هذه الوصايا العشر - التي زكاها القرآن الكريم- في طياتها حكما كثيرة، وأساليب مؤثرة تجعل الطفل يمشي سويا على هدى من ربه.

وقبل تلك الوصايا ركز القرآن الكريم على صفة المربي ليؤكد على أهمية القدوة: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾ ﴾ (لقمان) فالمربي الصالح والقدوة الصالحة لها أكبر الأثر في تنشئة الطفل، فهي أول وسيلة لتنشئته تنشئة صالحة صحيحة: ﴿ ...وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا ...﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف) فإذا كان الأب صالحا والأم صالحة فلا شك أن ينشئا أطفالهما على الصلاح والخير؛ **فالقدوة تفعل ما لم تفعله العبارات والأوامر**؛ فإذا أردت أن يكون طفلك صادقا فكن أنت صادقا ولا

تكذب، وإذا أردت أن تكون أخلاقه كريمة فكن أنت كذلك، فالتربية بالحال قبل المقال.

ثم نقرأ الحكمة التربوية مطبقة في عمل سيد الحكماء ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي** وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»[1].

الحكمة في التربية ليست إصدار تعليمات وأوامر ونواهي، بل الحكمة حب ورحمة ورفق وحنان، وأدب وخلق كريم، وتدرج، فإذا كان هذا تعامل الأب والأم مع ابنهما لا شك أنه يستجيب لهما، ويقتدي بهما.

وعن أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا نَحَلَ[2] وَالِدٌ وَلَدَهُ نُحْلاً أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ» (رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب الأدب).

وتنشئة الطفل تبدأ من الصغر، "والتربية في الصغر كالنقش على الحجر" كما يقال، يربى وينشأ تنشئة الغصن الحي ليستقيم على الشكل الذي نرتضيه. ولا يمكن أن تتصور غصنا حيا لينا إن أصابَهُ الحريق فتخشب وتفحَّم، أو أصابته الجراثيم فاهترأ!

ولله در القائل:

وينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند المشيبة الأدب

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.
(٢) النحل: العَطِيَّة والهبة ابتِداءً من غير عِوَض ولا اسْتِحْقاق.

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن يلين إذا قومتها الخشب

بل تنشئة الطفل تبدأ من اختيار الأم الصالحة والأب الصالح، لينجبا الابن الصالح...

مراعاة التدرج في تنشئة الطفل

إن التدرج هو الميزة البارزة في مسار الرسالة القرآنية الخالدة، وهو سنة من السنن الإلهية، مقررة في الشريعة الإسلامية بصورة لاحبة، وفي المنهاج النبوي أمثلة كثيرة..

ولهذا قال بعض الملوك لمؤدَب ولده: "لا تُخْرجهم من عِلْم إلى عِلْم حتى يُحْكِمُوه، فإن اصطِكَاكَ العلم في السمع وازدحامَه في الوَهم مَضَلةٌ للفهم"[1].

وعليه فلابد من مراعاة سنة التدرج في تنشئة الطفل، فلكل مرحلة من مراحل عمره ما يناسبها، وأن يختار المربي ما يناسب مداركه وتطوره ونموه؛ فلا نكلفه فوق طاقته، ولا نتركه يجوس في غيابات جب الجهل، ولا نلقنه الأمور بتفاصيلها، -مثلا - لا نلقنه أحكام الطهارة والصلاة والصوم والحج مرة واحدة وبكل جزئياتها؛ لأن الكثير من الآباء يحاولون تلقين أطفالهم تفاصيل أحكام الطهارة والطفل لم يتجاوز السنة السابعة أو الثامنة من عمره: فمن نواقض الوضوء التي تنيف على الستة عشر، إلى أحكام السهو التي قلَّ أن يضبطها المتفقهون، إلى أحكام الصيام... وكأن هذا الطفل سيصير من يومه إماما في مسجد الحي أو مفتيا في البلد... مما يسبب لكثير من أطفالنا نفورا كليا من هذا الذي نحسب أنه

(١) المجالسة وجواهر العلم، أحمد بن مروان بن محمد الدينوري أبو بكر القاضي المالكي، ٤/ ٤٤١.

هو الدين كله، في الوقت الذي يجب أن نربيهم على الحب: حب الله تعالى، وحب نبيه الكريم ﷺ وحب أهل بيته الأطهار وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، وعلى الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة، ونحبب إليهم الإيمان ونزينه في قلوبهم، مكتفين في أحكام العبادة بالضرورة التي تصح بها الصلاة، كما كان رسول الله ﷺ يكتفي من الكافر حين يسلم بتعليمه كيفية الصلاة، وإعلامه ببقية أركان الإسلام من غير تفصيل.

الأبوان والحفاظ على الفطرة

إن الطفل أمانة عند والديْه، وقلبه صفحة بيضاء فإن ملئت بالخير ونقش في قلبه نشأ عليه، وكان من السعداء في الأولى والآخرة، وكان لوالديه الحظ من تلك السعادة وثواب تلك التنشئة، وإن ملئت تلك الصفحة بالشرّ وتحول بياضها إلى سواد شقي وهلك، وشقي معه أهله، لكونهم أهملوه ولم ينشئوه تنشئة صحيحة.

إن من الآباء والأمهات مَن يقومون برعاية كاملة لجسم الطفل، لكنهم يتركون تزكية النفس والتربية على الأخلاق الحسنة لغيرهم جهلا أو تجاهلا، أو بمنطق التكاثر الغثائي: ما لهم وقت ولا قدرة على بذل غير هذا الجهد في رعاية الأجسام.

نعم للرعاية الجسمية مكانها وأهميتها في شريعة الإسلام، لكنها تواكب الرعاية النفسية القلبية، وإلا وقع خلل في تنشئة الطفل، كما هو واقعنا اليوم.

ولذلك عندما تتغير نظرة الآباء والأمهات إلى أنفسهم وإلى الحياة، فيكتشفوا أن معهم رِسالة إلى الإنسان الذي ينشأ في أحضانهم، عجزوا عن حملها، عندئذ

يعيدون النظر في تنشئتهم لأطفالهم ويبدأوا البناء من أساس وعلى أساس، يدلون أطفالهم على الله وينشئونهم على دعائم الإسلام وأخلاقه، تنشئة لا تشوش عليها عداوة الإعلام الغربي المنحل ولا صيحات التخريب والتغريب... بهذا يسمو الطفل حينما يكبر عن مستنقع الأخلاَق الدنيئة.

أضف إلى ذلك أن كل مولود يولد مسلما كامل الاستعداد لتلقي العلم بالله والقَبول، وللأبوين التأثير المباشر في الحفاظ على الفطرة أو تحريفها؛ فتنشئتهما للطفل إما تحافظ على الفطرة سليمة نقية ويتخذان لهذا المولود الجديد مأوى حاضِنا فيصلح عملا، وإما يحولانه عن الإسلام ويهودانه وينصرانه ويمجسانه، أو يلقون به إلى شارع البؤس يتولى تربيته، أو يتركانه يرعَى مع الهَمَلِ هملا فينشأ نشأة غثائية....

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه أَوْ يُنَصِّرَانه أَوْ يُمَجِّسَانه، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحَسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ[1]» ثُمَّ يَقُولُ: ﴿...فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ...﴿٣٠﴾﴾ [الروم][2].

وللحفاظ على الفطرة يجب أن يربى الأطفال وفق سنة التدرج على:

* حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ والحب في الله...

* كل ما يقربهم إلى الله ويبعدهم من غضبه،

* الصلاة،

(١) الجدعاء هي: التي قطع منها عضو.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله.

* القرآن تلاوة وحفظا وتدبرا،

* النظافة،

* حفظ اللسان والصدق،

* الحياء: الحياء من أهم شعب الإيمان وأبو الفضائل؛ حياء من الله فلا يجعل الله أهون الناظرين إليه، وحياء توقير واحترام وأدب ولياقة.

* الرحمة بالضعيف، ونصرة المظلوم،

* العزة على الكافرين تزَينها الذلة على المؤمنين،

* الشجاعة في الحق،

* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

* ذكر الله تعالى والدعاء،

* التوكل على الله إقداما وعملا جادا،

* امتلاك النفس عند الغضب...

وبهذه العبادات والأخلاق الحسنة والصفات الحميدة تتحقق له الوِقاية النفسية القلبية الروحية ليُحفظ النشء من بطش الملائكة الغلاظ الشداد يوم القيامة.

ويكرم ويحسن إليه، ويجازى على كل خلق جميل، ويشجع عليه..

وسائل التنشئة المؤثرة في الطفل

١- القدوة:

إن للقدوة الحسنة الأثر الفعال في تنشئة الطفل، فإذا صلحت القدوة صلح الطفل، لكون المربي المثل الأعلى في نظر الطفل، ولذلك فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فإن لم تكن القدوة حسنة، كيف ننتظر تنشئة الطفل تنشئة مستقيمة، لأن الطفل يكتسب صفات الوسط الذي ينشأ فيه وأهم العناصر المكونة لهذا الوسط: الأب والأم، فأهم عامل لتنشئة أطفال أسوياء هو نجاح الآباء والأمهات في التأثير على أبنائهم عن طريق معاملاتهم معهم «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١)، فنجاح الرعية الأبناء متوقف على حسن الرعاية من الآباء والأمهات.

قال عُتبة بن أبي سُفيان لعبد الصمد مؤدِّب ولده: "ليكن إصلاحُك بَني إصلاحَك نفسك، فإن عُيوبَهم معقودة بعَيْبك، فالحسنُ عندهم ما استحسنتَ، والقبيحُ ما استقبحت؛ وعلِّمهم سِيَرَ الحكماءِ، وأخلاقَ الأدباء، وتهدْهم بي وأدْبِهم دوني؛ وكن لهم كالطبيب الذي لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء؛ ولا تتكلن على عذر مني، فإني قد اتكلتُ على كِفاية منك" (عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري).

وباعتبار القدوة عاملا كبيرا في الصلاح أو الفساد، فإن الله تعالى اختار الله تعالى لحمل رسالته الخاتمة إلى الناس أفضل رسله وأكمل البشر، ليكون القدوة للناس جميعا في كل زمان ومكان، فكان ﷺ القدوة الكاملة في كل شيء، وكان صورة كاملة لمنهاج الإسلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب). ولذلك لما سئلت أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: "كان خلقه القرآن"[1].

هكذا كان رسول الله ﷺ الأسوة الكاملة والمثل الأعلى للأمة، وبهذه القدوة الحسنة انتشر الإسلام في كل البلاد وفتحت مغاليق قلوب العباد.

فنخلص إلى أن القدوة الحسنة من أكبر العوامل في التأثير على الطفل ونجاح تربيته وتنشئته تنشئة سوية.

من هنا حرص الشارع على أن يتخلق المربي بالصفات الحسنة والخصال الحميدة باعتباره قدوة لغيره من أبنائه.

وهنا تنبيه للمربي ألا ينعت طفله بصفات سلبية، فذهنية الطفل تتشكل بما يسمعه في مراحل عمره الأولى من الوالدين والأقارب، فإذا كان الطفل لا يسمع إلا السب والشتم والكلام البذيء فإن هذه الكلمات سترسخ في ذهنه وتتحول إلى هويته، وإن ترددت على مسمعيه الكلمات اللطيفة والجميلة والخلاقة... فستستقر في ذهنه ويحمله معه طوال حياته.

ولهذا حذر رسول الله ﷺ من المعاملة السيئة مع الطفل: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ لِصَبِيّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ» (رواه الإمام أحمد في مسنده).

وقال رسول الله ﷺ: «لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ

(١) رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه.

لَكُمْ»[1].

وخلاصة القول: إن التأثير بالفعل أكثر قوة من التأثير بالقول، والطفل كالعجين في يد والديه، يستطيعان أن يصنعا منه ما يشاءان، وذلك بتربيته وتهذيب غرائزه، وتأديبه...

٢- الحب:

الحب كالغيث أينما نزل نفع؛ يسقي الأرض وينبت الزرع، ويَروي الظمأ، ويملأُ النفوس فرحاً ورجاءً، ويملأ الحياة رَوْحاً وبهجةً وسكينةً...

والطفل في أمس الحاجة إلى الحب والعطف والحنان في مرحلة طفولته الحساسة، وهذه المشاعر لا تكون في بيت يسوده التناطح والعنف والشقاق والخصام، ومن هنا ندرك أهمية بناء البيوت على الدعائم القرآنية الثلاث: المودة- الرحمة-السكن، لبناء أسرة سعيدة، وتأمين بيئة عاطفية نقية لتنشئة الطفل تنشئة سوية.

إن خطاب الحب يغذي حاجة الطفل الفطرية إلى العطف والحنان، "فالمحبة هي مصدر الأمن النفسي للولد ، كما أنها هي القاعدة الصلبة لبناء شخصية الولد على الاستقامة والصلاح والتعامل الإيجابي مع المجتمع من حوله ، ولا يتصور تحقق هذه الغايات إذا كانت المحبة حبيسة داخل صدور الآباء والأمهات "[2].

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل.

(٢) تعامل الرسول ﷺ مع الطفل، علي بن ربيع الزهراني، ص١٢٥.

والطفل الذي لا يجد الحب والعطف والحنان في البيت أو في المدرسة سيؤدي به ذلك إلى النفور من المربي وعدم تقبل توجيهاته ونصائحه، بل سيجعله ذلك لا ينسجم مع الحياة، ويزرع في قلبه الكراهية للآخرين.

والتنشئة عن طريق الحب تكون بالوسائل الآتية:

أ) بسمة الحب: ليملأ الآباء والأمهات بيوتهم بعبق الابتسامة، فللابتسامة إشعاع قوي وتأثير لا يستهان به في نفسية النشء، كما أن للعبوسية والاكفهرار والقسوة أثرهم السلبي عليهم. يقول الإمام علي كرم الله وجهه: (لا يكونن أهلك أشقى الناس بك) (جامع الأحاديث للإمام جلال الدين السيوطي).

ب) جلسة حب: اجلس بجانب طفلك (ذكرا كان أم أنثى) وضمه إليك واهمس في أذنه وقل له "أحبك" وكررها، حتى تستقر في قلبه. إن لكلمة الحب أثرها الفعال في نفسية الطفل، إنها أجمل كلمة ترسمها في ذهنه، قبل أن يرسم فيها شارع البؤس ما يشاء.

ت) نظرة حب: انظر إليه نظرة حب وابتسم له من أعماق قلبك، وزد له وقل له "اشتقت لك يا حبيبي"، وعند اجتماعكم على مائدة الغذاء أو العشاء ضع لقمة في فمه واجعلها عربون حبك له...

ث) قُبلة حب: لا تبخل عليه ببعض القُبلات، لتنمي فسيلة الحب في قلبه...: عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ» (صحيح الإمام البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله معانقته).

ج) **عناق حب**: كما يقال "أطيب الطيب عناق الحبيب": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةِ مِنَ النَّهَارِ لاَ يُكَلِّمُنِي وَلاَ أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خِبَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَثَمَّ لُكَعُ[1] أَثَمَّ لُكَعُ». يَعْنِي حَسَنًا فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا[2]، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ»[3].

ح) **لمسة الحب**: امسح على رأسه وعلى خده: عَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ، قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانُ الْمَدِينَةِ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا فَمَسَحَ خَدِّي فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وريحًا كَأَن أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ ﷺ) (رواه الإمام الطبراني في المعجم الكبير).

لكن للأسف الآباء اليوم الكثير من الآباء اليوم لا يلمسون خدود أبنائهم إلاّ حين الصفع!

خ) **ضمة الحب**: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»[4].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ»[5].

---

(١) لكع: اسم تصغير وتحبب.
(٢) السخاب: قلادة ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء.
(٣) صحيح الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين.
(٤) صحيح الإمام البخاري، كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ.
(٥) صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب.

د) **عدل الحب**: الحب يقتضي من الأبوين أن يعدلا بين أطفالهما قال النبي ﷺ: «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ»[1]. وبالعدل بين الأبناء يمكن القضاء على بذور الغيرة والحسد.

ذ) **علاج أخطاء الطفل بحب**: حاول تصحيح أخطائه بحب مثلا قل له: أنت مخطئ لكني أحبك...

ر) **ثناء الحب**: أثن عليه عندما يقوم بعمل حسن، واشكره على ما فعله من خير وبر بهذا يشعر الطفل بتقدير الذات ويشعر بقيمته كإنسان. علمه التفاؤل والمسؤولية...

ولا شك أن للثناء على الطفل ومدحه "أثرًا فعالا في نفسه فيحرك مشاعره، وأحاسيسه، فيتسارع الطفل إلى تصحيح سلوكه وأعماله، وترتاح نفسه وتزهو لهذا الثناء، وتتابع في النشاط وتستمر به"[2].

ز) **رفق الحب**: إن الرفق زنة الأخلاق وتاج الفضائل، يفعل في نفسية الطفل ما لا تفعله القسوة والخشونة، ويعطي ثماره كل حين بإذن ربه.

ولذلك فإن "التعامل مع الأطفال برفق ولين مع احترامهم وتقديرهم، يجعلهم أسوياء، ويعودهم على الاعتماد على النفس والثقة، ويربي فيهم حب الآخرين، والتآلف مع غيرهم. والتآخي، ومعاملة غيرهم بالمودة والرأفة كما كانوا يعاملون، وكما تعودوا عليه"[3].

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد.

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ص٣٤٩.

(٣) مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين (رسالة ماجستير)، صالح بن سليمان البقعاوي، ص١٣٢.

ولنا في سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ قدوة مثلى في الرفق مع الأطفال في الخطاب والتعامل والتعليم، أما القسوة والجفاء والجفاف في المشاعر والتعامل عاقبتهم وخيمة على مستقبل الطفل، ولهذا حذر مؤرخنا الحكيم عبد الرحمن بن خلدون من هذا بقوله: " من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقًا"[1].

ومن الأهمية بمكان القول أن الملاطفة والحنان تهب الطفل دفئا وحنانا يظهر أثرهما على صحته، لكن دون إفراط في اللين والحنان، حتى لا يضيع الأولاد بكثرة الدلال، فالطريق المفروش بالورود لا يوصل إلى المجد أبدا... واشتط آخرون في الفظاظة والقسوة والخشونة فضيعوا أطفالهم بنهج سياسة الحرمان والقمع والكبت... فالتوسط والاعتدال مطلوب، ففي السنوات الأولى من العمر ينهج معه سياسة اللين والحنان، حتى إذا أدرك وتعقل بدأ معه سياسة اللين مع الشدة أي التوسط بين الأمرين حتى يستطيع الطفل مواجهة الحياة بحلوها ومرها ونعيمها وشقائها...

كما كان النبي ﷺ يعامل أبناءه ببعض الشدة عند الضرورة: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِىٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «كَخِ كَخِ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»[2].

(١) المقدمة، ص٧٤٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة، ح٢٩٠٧.

س) دعابة الحب: إن الطفل أحوج إلى الملاطفة في القول بالمزاح وغيره. والدعابة أسلوب تربوي هام يجلب للنفس البهجة والسرور ويزيل عنها الملل ويبعث فيها النشاط، إذ النفس تمل ولابد لها من حادي يحدوها إلى الخير والفضيلة والعطاء. والدعابة من الأمور الهامة في تنشئة الطفل وتعليمه.

ش) نداء الحب: إن من الأخلاق التي أرشد إليها الإسلام مخاطبة الناس بالقول الحسن والنداء الحسن والألفاظ اللطيفة، ذات وقع إيجابي على النفس، حيث تشعر المخاطب بالمودة والرحمة، والصفاء والنقاء، والاستعداد للبذل والاستجابة للقول..

فإذا كان هذا ما أرشد إليه الإسلام في التعامل مع سائر الناس، فإنه مع الطفل أحرى وأوجب. وهذا ما يتضح لنا جليا في خطاب رسول الله ﷺ:

- مناداة المخاطب بكنيته كما ورد في قوله ﷺ: (يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر).

- مناداة المخاطب بطفولته كما في خطاب رسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (يا غلام سمِّ الله وكُلْ بيمينك وكل مما يليك).

- مناداة المخاطب بنداء البنوة كما في قوله ﷺ : (يا بني).

- مناداة المخاطب بتصغير اسمه: كما في خطابه ﷺ لأنس بن مالك رضي الله عنه أيضًا: (يا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حيث أمرتُكَ) .

- مناداة المخاطب بالممازحة: في خطابه ﷺ لأنس بن مالك رضي الله عنه: (يا ذا الأُذُنَيْنِ).

إن مناداة الطفل بنداء حسن باسمه أو بكنيته أو بعبارة لطيفة... وسيلة هامة لإشعاره بمحبة المخاطب له وتحفيزه وتشويقه لسماع الخطاب، كما أنها وسيلة

فعالة للترغيب في الامتثال بما يدعو إليه الخطاب، وتنفيذ الأوامر بكل فرح وسرور.

ص) دعاء الحب: الدعاء هو العبادة ومخها، وله أثر إيجابي على نفسية الطفل؛ حيث يشعره بالعطف والحنان والاهتمام، مما يرفع همته ويطمئن وجدانه.

وخلاصة القول: فحب البنات والبنين والعطف عليهم واللطف بهم ونحلهم النحلة الحسنة سنة من سنن المصطفى ﷺ. عَنْ أَبِى قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (كَانَ يُصَلِّى وَهْوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا)[1].

٣- الحوار:

إن نفسية الأطفال تمل من العرض والإلقاء، لذا فإن أفضل طريقة لإيصال الأفكار طريقة السؤال والجواب وغيرها من طرائق التشويق.

والحوار بأدب ورفق لينشأ الطفل نشأة حرة ومسئولة، وإلا فالفظاظة من جانب الآباء والقسوة من جانب المعلمين، والقمع السياسي من جانب الدولة، عصاً لا تربي إلا الحمير. وعلى رأس الضارب تعود الضربة.

وبالحوار والمناقشة والمجادلة تُنمّى طاقات الأطفال جيل المستقبل وتفتح صدورهم وتوسع مداركهم، ويزيد نشاطهم في الكشف على حقائق الأمور، ومجريات الحوادث والأيام، بعيدا عن اللوم والسخرية بهم والتشكيك في قدراتهم مع الإصغاء إليهم، حتى يتمكنوا من إبداء آرائهم بكل ثقة وحرية،

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه.

فترتفع همتهم ويثقون بأنفسهم، ويشعرون بالحظوة والاعتبار لدى الآباء، وتقوى بينهم المحبة، ويسود الاحترام، وتكتمل الشخصية.

٤- القصة والموعظة والعبرة:

أ) القصة: إن القصة هي أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية، وتهذيبها، وتطهيرها مما علق على مشجبها من الآفات والعاهات والعلل، وإذا أحكمت صورتها وأحداثها كان لها تأثير قوي في التربية، إضافة إلى ما فيها إثارة وتشويق وإفادة وعبر وعظات تنفع السالك إلى ربه، ولكونها من أبلغ الطرائق في إصابة الهدف... ولهذا عني بها القرآن الكريم اعتناء كبيرا، واستخدمها رسول ﷺ في أساليب تربيته للصحابة الكرام رضي الله عنهم ولأمته من بعده.

وهكذا فالقصة إن صيغت بأسلوب سلس سهل مرتب الأفكار أسرت القلب وحبست الأنفاس وفتحت العقل، وامتزجت بروح المتلقي، فوجدت فيها مكاناً تربعت عليه وآتت أكلها بإذن الله تعالى، وتحقق الهدف منها في الاعتبار والاتعاظ.

فالقصة الهادفة تفتح آذاناً صمّاً، وقلوباً غلفا، وعقولاً تلبدت، إن أحكمت أفكارها وأحسن أداؤها.

ب) الموعظة: قال الله عز اسمه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ...﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان): هذه الجملة اسمية تدل على الثبوت والدوام والاستقرار وهي جملة حالية عن «لقمان» الوالد.

وتنشئة الطفل تمر عبر الوعظ ووسائله المشوقة ووسائل الترغيب والترهيب، والحكمة... واستعمال الكلمات الواضحة والسهلة التي توافق عقل المتلقي لقول

الإمام علي كرم الله وجهه: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)[1]، مع شرح سبب كل عمل خير دله عليه.. ومخاطبته بمحبة (يا بني)... وتقديم البديل عن كل عمل سوء، وبيان سبب نهيه عنه: كما في قصة لقمان الحكيم عليه السلام، لما نهى ابنه عن مشية المرح والبطر أتاه بالبديل عن ذلك بالاعتدال والتوسط في المشي ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ...١٩﴾ [لقمان]، ولما نهاه عن رفع الصوت، بين له سبب نهيه عن ذلك: ﴿...وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان]...

وقبل ذلك وبعده لابد من التيسير في تنشئة الطفل لقوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[2].

٥) الترغيب والترهيب:

أ) الترغيب: ترغيب الطفل في الخير والبر وما أعده الله تعالى لأهل الخير والبر... والترغيب في العبادات والمحبة ومساعدة الناس، ومكارم الأخلاق والصدق وما يترتب على كل ذلك من الثواب والجنة ومعية الله تعالى... ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ (البقرة). عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ: « يَا غُلاَمُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ». فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما.

(٢) رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، الصحيح، كتاب الوضوء.

اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ». (رواه الإمام أحمد في مسنده، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح).

ب) **الترهيب**: والترهيب يكون ببيان جزاء بعض الأعمال الشنيعة والأفعال القبيحة، كما قال لقمان الحكيم لابنه: ﴿... يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ (لقمان).

قل له يا بني لا تكذب، فإن الله تعالى لا يحب الكذابين، قل له يا بني صل صلاتك في وقتها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ (الماعون).

أما الضرب غير المبرح فهو آخر وسيلة، لكنه ضرب لا يخدش وجها، ولا يكسر عظاما، ولا يمزق جلدا، ولا يسيل دما...

عن عَمْرو بْن شُعَيْب عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةَ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[1].

قال الرشيد لمؤدب ولده: "أقرئه القرآن، وعلمه الآثار والأخبار والسنن، وروّه الأشعار، وبصّره مواقع الكلام، ومره بالرزانة في مجلسه والاقتصاد في نظره وسمعه، فلا تمرنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها،

(١) رواه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة. والإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في سننه وغيرهم.

وكلمة نافعة يعيها ويحفظها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه وتملّه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه بالتقريب والملاينة، فإن أبى فالشدة"[1].

إن معاملة الطفل باللين والرحمة والعطف والحنان هو الأصل، أما الشدة فهي في حالات استثنائية، إذ لابد من مراعاة طبيعة الطفل، والتدرج معه من الأخف إلى الأشد، فلا يبدأ بالضرب لحل المشكلة ومعالجة انحراف الطفل، بل الضرب آخر وسيلة وبعد أن يبلغ الطفل العاشرة من عمره، وبعد اتخاذ جميع الوسائل من اللين والرحمة ثم الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه والملاطفة، ثم بالموعظة البليغة ثم بالتوبيخ، وتعطى له فرصة للتوبة والاعتذار... فإذا استعصى عليه الأمر يلجأ إلى الضرب غير المبرّح، وعليه أن يتجنب الأماكن المؤذية كالوجه والرأس والصدر والبطن، وألا يضربه وهو في حالة غضب خشية أن يلحق الضرر به... فإذا استقامت قناته وصلح أمره، يلجأ بعدها إلى الرفق والرحمة.

لكن إذا تابعنا الطفل منذ ولادته فستكون تنشئته تنشئة مستقيمة، لا نحتاج إلى ضرب ولا إلى شدة..

ومحاولة تفادي الضرب أولى وأصلح، عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِه، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[2].

---

(١) المحاسن والمساوئ، للبيهقي ٢/ ٢١٣.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهله.

٦- المراقبة:

يراقب الأبوان مولودهما مراقبة دقيقة بعناية ودراية حركاته وهو يحبو، وجسمه ينمو، وعقله يتكون، ولسانه ينطلق. ومجرد أن ينطلق لسانه يلقن كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" لتكون أول كلمة تجري على لسانه عسى أن تعمه بركتها طول حياته.

بل يجب مراقبته من يوم ميلاده، فلا يستعمل في إرضاعه -إن عجزت أمه عن إرضاعه - إلا امرأة صالحة تأكل الحلال. فإرضاعه باللبن الحاصل من الحرام كتغذيته بالسموم المهلكة، لا بركة فيه.

وإذا بلغ السابعة من عمره فيرغب ويحبب في الطهارة والوضوء والصلاة...

أما ترك الأبناء لمراكز الحضانة أو للخدم، فإن توكيل الجاهل أو الغريب على الأطفال كتوكيل الثعلب على الدجاج. الأطفال في أيدي الخدم كارثة.

أضف إلى ذلك السؤال عن أحواله ووضعه، حتى يعطي لكل ذي حق حقه، وحتى تكون تنشئته متوازنة ومتكاملة، ويكون لبنة صالحة في كيان الأمة.

٧- الترويح:

إن "الترويح التربوي يقوم بدور تربوي مؤثر في تنمية شخصيات الأبناء عن طريق الأنشطة الترويحية، فمن خلاله يتعلم الأطفال دروسًا في المسئولية وتقدير الآخرين وتدعم لديهم اتجاهات مرغوبة من وجهة نظر الثقافة والمجتمع"[1].

(١) تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربويا، حصة الصغير، ص١٢٠.

وإن الترويح باللعب يساعد على التهيئة النفسية للطفل، وعلى تنمية قدراته العقلية، إذ "يعتبر اللعب للطفل الطريق السليم لاكتساب المهارات، واكتساب المعارف، وتنمية قدرة الطفل على التفكير السليم والإبداع"[1].

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي : "وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبًا جميلا ويستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب، وإرهاقه إلى التعلم دائمًا يميت قلبه، ويبطل ذكائه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا"[2].

وعليه، فالإسلام منهاج متكامل، يراعي نفوس الناس وفطرتهم وأحوالهم وظروفهم، فلم يرهقهم عسرا، ولم يكلفهم فوق طاقتهم، بل منهاجه الوسطية والاعتدال، والتيسير ورفع الحرج...

ففي ديننا فسحة، وساعة للمرح والفرح والسرور، فإذا كان هذا حاله مع الكبار، فكيف بالصغار وهم أحوج الناس إلى المرح والفسحة واللعب لنشاهد هذا الموقف السامي والتعامل الراقي لرسول الله ﷺ مع أحفاده والصبيان رضي الله عنهم يلاعبهم ويلاطفهم ويمازحهم ويروح عن نفوسهم:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ»[3].

---

(١) تربية الطفل في السنة النبوية، محمد صالح المنيف، ص٩٦.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٣/ ٩٨.

(٣) رواه الشيخان: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين.

وعَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حَاملا الْحَسَن بْن عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِه فَقَالَ رَجُلٌ: نِعْمَ الْمَرْكَبُ رَكِبْتَ يَا غُلامُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَنِعْمَ الرَّاكِبُ هُوَ»(١).

وعن أسامة بن زَيْد قَالَ: طَرَقْتُ النَّبِيَّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْض الْحَاجَة فَخَرَجَ النَّبِيُّ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَيْءٍ لاَ أَدْرِي مَا هُوَ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَاجَتِي قُلْتُ: مَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْه؟ قَالَ فَكَشَفَهُ فَإِذَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عَلَى وَرِكَيْه فَقَالَ: «هَذَانِ ابْنَايَ وَابْنَا ابْنَتِي اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»(٢).

وعَنْ سَعيد بْن أَبِى رَاشد أَنَّ يَعْلَى بْنَ مُرَّةَ حَدَّثَهُمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى طَعَام دُعُوا لَهُ فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي السِّكَّة، قَالَ: فَتَقَدَّمَ النَّبِي ﷺ أَمَامَ الْقَوْم وَبَسَطَ يَدَيْه فَجَعَلَ الْغُلاَمُ يَفِرُّ هَا هُنَا وَهَا هُنَا وَيُضَاحِكُهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهُ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْه تَحْتَ ذَقَنه وَالأُخْرَى فِي فَأْس رَأْسه فَقَبَّلَهُ وَقَالَ: « حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْبَاطِ»(٣).

ونسمع لسيدنا حنظلة رضي الله عنه يحكي لنا قصته: عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيدي قَالَ - وَكَانَ مِنْ كُتَّاب رَسُول اللَّه ﷺ - قَالَ: (لَقِيَنِي أَبُو بَكْر فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّه مَا تَقُولُ؟! قَالَ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُول اللَّه ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّار وَالْجَنَّة حَتَّى كَأَنَّا رَأْيِي عَيْن، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْد رَسُول اللَّه ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَات، فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ: أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّه إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّه

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب الحسن والحسين.
(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، مناقب الحسن والحسين.
(٣) سنن ابن ماجه، باب فضل الحسن والحسين، ح١٤٤. قال الألباني: حديث حسن.

ﷺ. قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«وَمَا ذَاكَ؟». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ)[1].

هكذا أقر رسول الله ﷺ حنظلة رضي الله عنه على ملاعبة أهله وأبنائه.

يقول جان جاك روسو: "أحبوا الطفولة، يسروا لها ألعابها ومسراتها وفطرتها المحبوبة. من منكم لم يأسف أحيانًا على تلك السن التي لا تفارق الابتسامة فيها الشفتين، والتي تكون فيها النفس في سلم وهدوء دائم؟ فلم تريدون أن تحرموا هؤلاء الصغار الأبرياء من متعة في فترة تكاد من قصرها تفوتهم، ومن ذخر ثمين لن يسيئوا استعماله مهما فعلوا؟ ولمَ تريدون أن تملئوا بالمرارة والآلام هذه السنوات الأولى الخاطفة التي لا تعود إليهم أبدًا، كما لا تعود إليكم"[2].

٨- الصحبة الصالحة:

رفقة السوء لا ترضيهم استقامة الآخرين غيرة وتنافسا، لذلك يجب أن يراقب الآباء أبناءهم وأن يختاروا لهم الرفقة الصالحة مثلا للذهاب إلى المدرسة.....

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (رواه الإمام أحمد في مسنده).

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في الأمور.
(٢) تعليم بلا عقاب، محمود إسماعيل عمار، ص٤٨.

وعَنْ أَبي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»(١).

ولله در القائل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قريـــــن بالمقارن يقتدي

قال عبد الملك لمؤدِّب ولده: "علِّمْهم الصدق كما تُعَلِّمهم القرآن وجَنِّبْهم السفِلَةَ فإنّهم أسوأ الناس رِعَةً (ورعا) وأقلُهم أدباً"(٢).

وخلاصة القول تحتاج التنشئة الإسلامية للطفل إلى عاملين أساسين:

أولهما: التربية الإسلامية على منهاج صحيح: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ أَوْ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِنِصْفِ صَاعٍ» (رواه الإمام أحمد في مسنده).

وثانيهما: البيئة الصالحة: لقوله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) (رواه الإمام البخاري في صحيحه).

٩- بناء من أساس وعلى أساس:

أ) البناء الإيماني: لقد ألزم الإسلام الآباء بضرورة تنشئة الطفل تنشئة إسلامية: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا

(١) رواه الشيخان: البخاري، كتاب الذبائح، باب المسك. مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب مجالسة الصالحين.

(٢) لباب الآداب، لأسامة بن منقذ، ١/ ٦٨.

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ (التحريم)، والوقاية تكون بتنشئته على العبادة والمحبة والرحمة ومحاسن الأخلاق، وتحذيره من رفقة السوء.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: "من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة. وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا. كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال يا أبت: إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا، وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا" (انظر: تحفة المودود بأحكام المولود).

ربط الطفل بقواعد الإيمان بتدرج مع نموه العقلي وتميزه وفهمه. وبعدها أركان الإسلام ثم مبادئ الشريعة الغراء.

كما يجب تعويده على العبادة في صغره حتى يتذوق حلاوتها في كبره.

ب) **البناء الخلقي**: إكساب الطفل مجموعة من الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة في علاقته بنفسه وعلاقته بربه وعلاقته مع الناس... حتى تتصف روحه بالصفاء والنقاء والإشراق...

ت) **البناء الفكري**: بناء الإنسان منذ أن يصبح مميزا وعاقلا بنظام الإسلام الشمولي دعوة ودولة تربية وجهادا، منهاجا للحياة، حتى يكون محصنا من الهجمات التغريبية التخريبية، والمخططات الاستدمارية الغربية واللائيكية الغافلة عن الله والدار الآخرة... التي تهدف إلى طمس العقيدة الإسلامية وأخلاقها ومبادئها...

وليحذر الآباء والأمهات من تلقين أطفالهم معلومات مخطئة، أو تسليتهم بحكايات خرافية...

ح) **البناء الجسمي**: الحفاظ على سلامة صحته، وقوة جسمه، حتى يكون أكثر حيوية ونشاطا... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيف وفي كل خير»[1].

خ) **البناء الاجتماعي**: التعامل مع الآخرين واحترامهم، ومساعدة الضعيف والمحتاج...

نماذج للتنشئة النبوية للطفل

١-سيدنا طلحة بن البراء رضي الله عنه:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

بهذه البهجة والمسرة والكلمات الرائعة الجميلة استقبل أهل يثرب سيدنا وحبيبنا رسول الله ﷺ، ورحبوا به أيما ترحيب.

وقف سيدنا طلحة بن البراء منزوياً يسمع ويرى، ويتمنى لو يتاح له المجال لأن يشارك أترابه ترحيبهم بالنبي العظيم ﷺ.

وما إن أهلّ الحبيب المصطفى ﷺ بوجهه الوضّاء، حتى تراكض الناس إليه بلهفة وشوق كبير.

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

شعر طلحة بحب شديد للحبيب محمد ﷺ، وإجلال وإعظام له، فذهب مسرعاً إلى أبويه وهو يقول:

- أماه.. أبتاه.. لقد رأيت رسول الله ﷺ، هيا معي نذهب إليه ونتبعه.

نظر أبوه إليه طويلاً ثم قال:

- يا بني.. أنت ما زلت صغيراً لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرك بعد، لننتظر قليلاً حتى نرى ما يصنع أهل المدينة.

فردّ طلحة بحرقة:

- يا أبتي.. ولمَ الانتظار؟ إنه رسول الله حقاً، وقد اتبعه أكثر أهل المدينة، فلمَ لا نكون السباقين إلى هذا الخير العميم؟

تجاهل أبو طلحة ما قاله له ولده، وقام إلى آلهته ينفض عنها التراب.

شعر طلحة بالحزن الشديد وأخذ يحدث نفسه:

"أيهمل والديه الحبيبين إلى قلبه، ويذهب إلى رسول الله ﷺ؟ أم ينتظر حتى يقتنع والداه ويذهبا معه إلى رسول الله ﷺ".

لكن حبه لرسول الله ﷺ تغلّب على حبه لوالديه، فذهب مسرعاً إلى رسول الله ﷺ، ودخل عليه والفرحة تقفز من عينيه، وقال له:

- يا رسول الله.. اُبسطْ يدك أبايعك.

نظر رسول الله ﷺ إلى طلحة الفتى الصغير نظرة حبٍّ وإكبار، ثم سأله عن أبويه، فقال طلحة بنبرة حزينة:

- لا يزالان مشركين يا رسول الله ﷺ.

فقال مولانا رسول الله ﷺ:

(وإن أمرتك بقطيعة والديك؟).

نظر طلحة إلى رسول الله ﷺ نظرة المغشيِّ عليه، وتغلّب عليه حبُّه لأبويه، ثم قال والدموع تملأ عينيه:

- لا يا رسول الله ﷺ، إنهما والداي، وأنا أحبهما حباً جماً.

خرج طلحة من عند رسول الله ﷺ، يجرّ رجليه جرًّا، وذهب إلى بيته حزيناً لفراق رسول الله ﷺ، ولم يستطع النوم وهو يتقلب على فراشه، يفكر فيما قاله له رسول الله، وما إن أصبح الصباح، حتى ركض طلحة إلى رسول الله ليبايعه، مرة ثانية، فقال له رسول الله ﷺ:

(وإن أمرتك بقطيعة والديك؟).

أُسقط في يد طلحة مرة أخرى، وتغلّب عليه حبُّه لأبويه، فقال ولسانه يقطر مرارة:

- لا يا رسول الله، لا أستغني عن والديّ.

عاد طلحة إلى بيته، يقلّب الأمر، والداه أم رسول الله ﷺ؟!

وبعد أيام اختار رسولَ الله ﷺ، وذهب مسرعاً إلى رسول الله، وقال له:

- يا رسول الله.. أُبسطْ يدك لأبايعك، وأي شيء تطلبه مني أنفذه لك.

تبسم رسول الله ﷺ حتى أضاء وجهه، ومدّ يده الشريفة يبايع طلحة، وهو يقول له:

(يا طلحة، إنه ليس في ديننا قطيعة رحم، ولكن أحببتُ أن لا يكون في دينك ريبة (أي شك)).

غمرت الفرحةُ الكبيرة قلبَ طلحة، وشعر كأنه ملكَ العالمَ بأسره، وأخذ يلازم رسولَ الله ﷺ في حلّه وترحاله، فقد شغفه حباً.

جاءه يوماً وسلم عليه، ثمّ أكبّ عليه يلصق بدنه ببدنه، ويقبل يديه ورجليه، وهو يقول:

- يا رسول الله مُرْني بما أحببتَ، ولا أعصي لك أمراً.

فأحبّ رسول الله ﷺ اختبارَ حبّ طلحة له، فقال له:

(اذهبْ فاقتلْ أباك).

خرج طلحة رضي الله عنه مسرعاً لينفذ أمر رسول الله ﷺ دون أن يراجعه، ولكن رسول الله ﷺ ناداه، وقال له:

(يا طلحة.. ألم أخبرك أني لم أبعث بقطيعة رحم!!).

واكتملت سعادة طلحة بإسلام والديه، ولكن بعد أشهر قليلة مرض طلحة مرضاً شديداً، أقعده عن الذهاب إلى رسول الله، فسأل رسول الله ﷺ عن طلحة، فأخبروه بمرضه.

حزن رسول الله ﷺ لما أصاب طلحة، وذهب مع جماعة من أصحابه، إليه رغم بعد المسافة، وشدة البرد، ولما دخل عليه رآه في حالة يُرثى لها، وقد فقد وعيه من شدة آلامه، فوقف على رأسه ودعا له، وقلبه يعتصر ألماً، ثم قال لأهله:

(لا أرى طلحة إلا قد حدّث فيه الموت، فآذنوني به - أي أعلموني بوفاته - حتى أصلي عليه).

ذهب رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد جَنّ الليل، وفي منتصف الليل أفاق طلحة من إغماءته، وابتدر أهله بالسؤال عن رسول الله ﷺ هل عاده؟ فقالوا له:

- نعمْ، وقد أقبل عليك ودعا لك، وقال لنا: أخبروني بما يحدث لطلحة.

سُرّ طلحة كثيراً بهذا الخبر السعيد، ثم تجّهم وجهه فجأة كأنه تذكر شيئاً مهماً، وقال:

- ما أراني إلا ميتاً، فإذا أنا مت فادفنوني، ولا تدعو رسول الله ﷺ في هذه الساعة، فتلسعه دابة، أو يصيبه شيء، وإني أخاف عليه اليهود أن يصاب بسببي، ولكن إذا فُقدت، فأقرِئوه مني السلام، وقولوا له: فليستغفر لي.

ما إن انتهى من كلامه حتى ثقل لسانه، وأسلم روحه لبارئها، راضياً مرضياً، ففعل أهله ما طلبه منه ولدهم طلحة، وفي الصباح ذهب أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ، وأخبره بموته.

حزن سيدنا رسول الله ﷺ حزناً شديداً، ثم قام من مجلسه وذهب إلى قبر طلحة، مع جماعة من أصحابه، وصلى عليه، ودعا له:

(اللهم القَ طلحة تضحك إليه، ويضحك إليك).

أرأيت كيف يعلم سيدنا رسول الله ﷺ محبته لأصحابه رضي الله عنهم، وكيف يمتحن عليها كما امتحن الغلام رضي الله عنه! محبة تَفدي بالنفس، وتصحَب عبر الموت، وتجعل المحبوب وأمنه مركز الهم، يُنْسَى معه الكرب، حتى كرب الموت.

٢- سيدنا البراء بن مالك رضي الله عنه:

صحابي جليل وأخو الصحابي الجليل أنس بن مالك (خادم رسول الله ﷺ).. ربّاه الحبيب المصطفى ﷺ على حب الشهادة واليقين بنصر الله، وأخبره بأنه مستجاب الدعوة.. شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدراً.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كم ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه، منهم البراء بن مالك".

كان رضي الله عنه من أشجع الناس، ففي معركة اليمامة زحف المسلمون إلى المشركين حتى ألجئوهم إلى حديقة فيها عدو الله "مسيلمة الكذاب" فقال البراء رضي الله عنه: "يا معشر المسلمين ألقوني إليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على باب الحديقة حتى فتحه للمسلمين، فدخل المسلمون وقُتل (مسيلمة) وجرح البراء بضعاً وثمانين جرحاً ما بين رمية بسهم وضربة بسيف.

واستشهد رضي الله عنه في موقعة «تستر» سنة إحدى وعشرين للهجرة.

٣- سيدنا عمير بن الحمام رضي الله عنه:

صحابي جليل من الأنصار ومن السابقين إلى الإسلام، بايع الرسول الكريم وهو غلام صغير.

منذ أسلم عمير وهو عابد لله سبحانه وتعالى، وفي الصف الأول في الصلاة والجهاد، اشتُهر بالزهد والورع وصفاء النفس، هادئ الطباع، حسن الصفات مشرق الطلعة.

أحبّ عميرٌ سيدنا رسول الله ﷺ حباً عظيماً ملأ قلبه فكان لا يفارقه أبداً، وكان ﷺ يحبه جداً ويأنس له، وفي غزوة بدر الكبرى أراد المشركون كسر شوكة المسلمين.. فوقف الحبيب المصطفى ﷺ خطيباً بالمسلمين قائلاً: "والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل، فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة".

ثم قال ﷺ يحث المسلمين على القتال والاستبسال: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض".

رد عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول اللهأ جنة عرضها السموات والأرض؟

قال: "نعم".

قال: بخ بخ.

فقال ﷺ: "ما يحملك على قولك بخ بخ".

أجاب عمير: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها.

فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: فإنك من أهلها.. فأخرج رضي الله عنه تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة.

فرمى بما كان معه من التمرأ وقاتل حتى استُشهد.. فكان أول شهيد من الأنصار.. رضي الله عنه وأرضاه[1].

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، سيرة ابن هشام، حياة الصحابة للكندهلوي، رجال حول الرسول ﷺ، خالد محمد خالد.

وكتب السير والمغازي وطبقات الصحابة وحياتهم مليئة بنماذج بارزة للتربية النبوية للصحابة الكرام رضي الله عنهم.

لقد جمعت شخصية سيد الوجود حبيبنا محمد ﷺ تمام القيم وعظيم المثل وكمال الأخلاق، وستبقى دومًا أسوة حسنة ونموذجًا يحتذى في شتى مجالات التنشئة الإسلامية للطفل.وعليه، "فلا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها"[1].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/ ٩٦.

خاتمة

(نسأل الله الحسنى وزيادة)

انطلاقا من كل ما سبق يتضح لنا جليا أن الطفل صفحة بيضاء، قابلة للكتابة بكل الرموز والألوان.

لذا يجب أن يكتب فيها الفضيلة والخير، والآداب الإسلامية والأخلاق المحمدية، والخصال الكريمة...

فالطفل هو الغد القادم، فلرسم هذا الغد يجب أن نكثف الجهود ونسخر طاقاتنا لتنشئته تنشئة إسلامية أصيلة، تنفع الأمة وترفع الهمة...

وخلاصة القول: إذا أردت أن تعرف مستقبل أمة فانظر إلى حاضر أطفالها وحالهم وتربيتهم.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد، اللهم عظِّم شأنه، وبيِّن برهانه، وأبلج حجته، وبيِّن فضيلته، وتقبل شفاعته في أمته، واستعملنا بسنته، يا رب العالمين، ويا رب العرش العظيم، اللهم يا رب احشرنا في زمرته وتحت لوائه، واسقنا من كأسه، وانفعنا بمحبته، آمين يا رب العالمين، اللهم بلغه عنا أفضل السلام، واجزه عنا ما جازيت نبيا عن أمته يا رب العالمين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	7
الأمومة والأبوة	9
حاجة الآباء والأمهات إلى الحكمة التربوية في تنشئة الطفل	11
عشر وصايا وصى بها لقمان الحكيم عليه السلام ابنه	13
مراعاة التدرج في تنشئة الطفل	16
الأبوان والحفاظ على الفطرة	17
وسائل التنشئة المؤثرة في الطفل	20
1 – القدوة	20
2 – الحب	22
3 – الحوار	28
4 – القصة والموعظة والعبرة	29
5 – الترغيب والترهيب	30
6 – المراقبة	33
7 – الترويح	33
8 – الصحبة الصالحة	36
9 – بناء من أساس وعلى أساس	37
نماذج للتنشئة النبوية للطفل	39
1 –سيدنا طلحة بن البراء رضي الله عنه	39
2 – سيدنا البراء بن مالك رضي الله عنه	44
3 – سيدنا عمير بن الحمام رضي الله عنه	44
خاتمة	47

إصدارات حديثة للمؤلف

الأستاذ الدكتور/ أبو اليسر رشيد كهوس

الأستاذ بكلية أصول الدين بتطوان - جامعة القرويين

- **نحو قراءة جديدة للسيرة النبوية:**

  سنة الله في جهاد سيدنا رسول الله ﷺ.
- **إتحاف العباد بحقيقة الجهاد.**
- **العبر من سيرة خير البشر ﷺ.**
- **سنة الله في اليهود ومستقبل الأمة الموعود.**
- **مختصر تواريخ الأحداث المشهورة في السيرة النبوية.**